للقربان المقدس. فقد اقنا شركة بلغت اعضاؤها خمسمائة كاهن تقدّم كل سنة ٢٣٠٠ قداس لاجل رجوع انكلترة الى ديانة اجدادها...»

فلا بدع اذا شاهدنا هذه الآيات العجيبة والامثال الغريبة فان العليّ الذي سمح بحكمته الجزيلة لانكلترة ان تقع في اشراك الاصلاح وسوء عقباه قد تعطّف على شعبه وسمع صلوات ما برحت تخترق حجاب السماء منذ ثلاثة اجيال فمدّ يده القديرة لنشله من وهدة الظلام والشرور. فعسى ان تضرعاته المتواصلة تعجّل ذلك اليوم السعيد الطالع فتتألب من كل فجّ الخراف الضالّة الى حظيرة الكنيسة الكاثوليكية وتسمو لصوت راعيها الصالح فتتوفّر اسباب الخير وتتدفّق عيون البركات في مراعٍ وراءها الجنّة الشهيّة والغبطة السرمديّة...

(تمّت)

مقالع مصر ومعادنها

نظر في تركيب ارض مصر الجيولوجيّ للاب بطرس دي ڤراجيل اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٢ المقالع الحديثة

بعد كلامنا عن مقالع مصر القديمة في ايام الفراعنة ثمّ في عهد اليونان والرومان لا نرى بُدًّا من ذكر المقالع الحديثة التي أُنشئت في أيام الدول التابعة

صارت مصر بعد الرومان في يد ملوك بوزنطية فبقيت تحت سلطتهم ثلاثة قرون الى ان فتحها العرب. وفي هذه المدّة الطويلة تقهقرت احوال مصر فلم يكن لولاتها همّ بالبناء وعليه فلا نجد اثرًا يُذكر لذلك العهد بل تلفت ابنية عديدة استولت عليها يد الخراب لتهامل ذوي الامر في ترميمها

وفي سنة ٦٤٠ دخلت مصر تحت حكم العرب فشيّد عمرو بن العاص فاتحها مدينة الفسطاط على ضفّة النيل بازاء الاهرام شماليّ منف القديمة اما موادّ ابنية الفسطاط فالظنون انّ عمرًا استمدّها من مقالع طُرّة

ثم استولى احمد بن طولون على مصر في القرن التاسع للميلاد واليه تُنسب الدولة الطولونيّة ومن آثاره البنائيّة مدينة مصر القاهرة بناها شماليّ مصر العتيقة وانشأ فيها

المعاهد والقصور الفخيمة التي تميّزها عن الفسطاط وذلك بسرعة غريبة. وكانت المواد المتّخذة لهذه الابنية اللبن المجفّف بالشمس وبه بُني جامع ابن طولون الشهير. الّا انّ العمّلة لم يهملوا الحجر الاصمّ فانّهم فتحوا في جبل المقطّم مقالع اتّخذوا منها حجارًا كثيرة تزين مصر حتى اليوم. ثمّ اتّسعت المدينة وكثرت معاهدها وقصورها فلم يجد البنّاؤون كفايتهم في مقالع المقطّم فعمدوا الى أنقاض مدينة منف القديمة وحجارتها العجيبة من الصوّان والرخام وغير ذلك فاتّخذوها لابنيتهم المستحدثة ونحتوها نحتًا محكمًا ونقشوها بالنقوش البديعة على الطراز العربيّ

ونمى حبّ العرب للبناء مع وسوخ قدمهم في مصر. فأولعوا بالمآثر الجليلة والابنية الفسيحة. ولمّا جلس السلطان صلاح الدين الأيوبي على منصّة الملك اهتمّ ببناء القلعة فجعلها فوق مدينة القاهرة كأنّها الدرّة اليتيمة تزين مقبض مروحة هي النيل المنبسط في اسافل مصر وحصّن هذه القلعة بسور طوله ١٩٠٠٠ ذراع. وفي عهده توالت الابنية العظمى من مساجد وقصور وحصون منها باللبن المشيّد بالجصّ ومنها بالحجر الفرني المكلّس. واغضى البنّاة عن الصوّان لصعوبة نحته والنفقات الطائلة لنقله. بل ترى المهندسين والصنّعة يأنفون من نحت الحجر الكلسي فيعمدون الى الجير والشيد لشغل الطنوف والمقرنص والشمّاسات التي يقتضي نحتها في الحجارة زمنًا طويلًا. بيد انّ هذه النقوش لم تصبر على الدهر لقلّة صلابتها فذهب بها الزمان وصارت الى غير كان

وممّا يجتلى الجوامع في مصر عددٌ لا يُحصى من العواميد بعضها من انواع الرخام العزيز الوجود والصوّان المحبّب وغير ذلك من الحجارة الكريمة. فانّ في مارستان قلاوون سواري ضخمة من الصوّان الاحمر المعروف في زماننا بالشحم واللحم وكان في جامع عمرو ٣٦٦ عمودًا وكلّ هذه الاعمدة استُخرجت من ابنية قديمة اجال فيها الخراب يده فبقيت هذه الاعمدة مهملةً الى ان استفاد منها العرب. وقد اخبر الاب سيكار اليسوعيّ انهُ وجد في زمانهِ في الاسكندريّة جوامع كان عمدها اشبه بغابة من الشجر لكثرتها من ذلك الجامع المعروف بالف عمود الذي خرب منذ قريب. ويظهر من فحص هذه الاعمدة انّ نقوشها من الطراز اليونانيّ ترتقي الى عهد البطالسة (١). وقد دخل قسمٌ كبير من حطام هذه الاعمدة في توثير الطرقات لاسيّما الطريق المؤدية الى قلعة قايتباي

(١) رجع كتاب وصف مصر M^r S^t-Genis : *Description de l'Egypte*, II, ch. 26

في الاسكندريَّة كما تحقَّق المهندسون ذلك مؤخرًا

ومن المقالع التي اتَّخذها العرب بعض مقالع الرخام الابيض والرخام الاسود الذي لا يوجد من جنسهما في الابنية السابقة لعهدها وترى مثالًا من هذين الرخامين في باب مارستان قلاوون المبنيّ سنة ١٢٨٥ م وهو اثر جليل يشهد على براعة بُناته

ثم دخلت مصر بعد ذلك في اطوار مختلفة فترى منذ ذلك العهد كثيرًا من ابنيتها القديمة متداعيةً خربة وكان الفلَّاحون يتَّخذون قطع الرخام القديم فيوقدونها ويجعلونها كلسًا ولعلَّهُ لم يبقَ شيء من آثار السلف لولا انَّ الله اقام رجالًا من ذوي الهمَّة العالية الذين اعادوا لمصر بهاءها القديم

فمنهم صاحب الدولة الخديويّ محمَّد عليّ باشا فانهُ استدعى قومًا من المهندسين البلديين والاجانب فعهد اليهم بناء الحصون والتكنات والمصالح التي غيَّرت هيئة الاسكندريَّة وجعلتها من حواضر المدن. الَّا ان اكثر هذه الابنية شُيدت بحجر بلدي لينٍ اثَّر فيه هواء البحر فتتَّتهُ. وقد نجا من الخراب قصر راس التين المبنيّ بهذا الحجر لانَّهُ طُلي بالجير ويُجدَّد طلاؤهُ من وقت الى آخر

ومن ابنية محمَّد علي باشا الفاخرة في مصر قصر شبرا وترعة النيل. وافخر منها المسجد الجامع المنسوب اليه باشر في بنائهِ سنة ١٨٢٤ وانجزهُ سنة ١٨٥٧ وكان المهندس روميًّا يدعى يوسف بشنه شيَّد هذا الجامع على مثال جامع توري عثمانيَّة في الاستانة العليَّة. وقد فرش جدرانهُ داخلًا وخارجًا بالرخام الابيض الشفَّاف وبحجر كلسيّ ذي عروق صفراء عسليَّة بديعة اجتلبهُ من مقالع بني سويف على مسافة ١٢٤ كيلو مترًا جنوبيّ القاهرة في سفح جبل اورخام

وفي عهد خلفاء محمَّد علي باشا ترى مصر راقيةً في معارج الحضارة كعواضر اوربَّة في هندستها وابنيتها امَّا الحجارة اللازمة لهذه الاعمال فانَّها تستخرج في الغالب عن كثب لسرعة اصحابها. فمقالع الاسكندريَّة جنوبيّ المدينة عند جهة مكس ترى العملة فيها يشتغلون بنشاط وحجارتها كلسيَّة كاشفة اللون ترتقي الى الطور الجيولوجيّ الثالث المدعوّ بليوسان (pliocène) وبها يُصطنع وَصَف الاسكندريَّة الجديد حاليًّا وابنية الخاصَّة ومنها اتُّخذت مواد ابنية بورت سعيد. وهذا الحجر صلب في الماء. ولذلك يصلح للابنية المائيَّة في المرافئ امَّا في الهواء فتعمل فيهِ ريح البحر الملحيَّة فتفتتهُ ما لم يُطلَ بالشيد القوي

وربما اتخذت منهُ قطع ضخمة تنقلها الجمال او السكك الحديدية او السُفن المسطحة

اما القاهرة فابنيتها الحالية تُتخذ من حجارة المقطَّم الحارية المعروفة بايوسين (éocène) بها تبنى الاحياء الجديدة في القاهرة وحلوان. ومن الحجارة المستعملة في مصر حجارة جبل الاحمر بقرب العباسية تُنزع من صخور جاسية مركَّبة من الرمل والحصى والخشب المتحجِّر ولونها ضارب الى الصفرة او الشقرة يدخلها اوكسيد الحديد وبها تُفرش طرق القاهرة وتنقلها سكك حديدية جارية على ضفَّة النيل

وكذلك يستثمر اهل مصر حالاً مقالع مصارة وطرَّة ويستعملون حجارتها لتبليط البيوت. الَّا انَّهم لا يجرون على طريقة قدماء المصريين بحفر اعماق الجبل حيث الحجارة الصلبة المفضَّلة وانَّما يكتفون بالحجارة المتكونة على ظهر الجبل يقطعونها ثم ينقلونها على عجلات او على بغال وجمال الى النيل

ولا نعرف مقلعاً آخر مهمًّا غير ذلك. وانَّما يستجلب اصحاب الثروة شيئاً كثيرًا من الرخام الابيض لزينة بيوتهم ودرجها من ايطالية وتربسته وجزائر اليونان ولا يكلَّف نقل هذا الرخام شيئاً كثيرًا لانَّ السفن تتَّخذهُ كصبَّارة تثقَّل بهِ قعرها

على انَّ الابنية الحديثة لا يمرُّ عليها الزمن الطويل حتى يستولي عليها الخراب وشتَّان بينها وبين ابنية قدماء المصريين التي كانت تسخر من الدهر بصلابتها وثباتها

٢ المعادن المصريَّة

ان المصريين لم يُحسنوا نحت الحجارة فقط بل اتَّخذوا ايضاً المعادن فصاغوها واستمدُّوا منها ادواتهم وزيَّنوا بها ابنيتهم واثاثهم واستعملوها للمصاغات والحليّ. على ان المصريين تأخروا في ذلك عن غيرهم من الشعوب القديمة فاذا قابلنا بين آثار قدماء اهل غالية وجرمانية نجدهم يكثرون من استعمال الحديد والنحاس والشَبَه بينما كانت قبائل النيل لا تتَّخذ هذه المعادن الَّا نادرًا. ولنا في ذلك شاهد صادق في الابنية المصريَّة القديمة فانَّ حجارتها الضخمة تُربط ببعضها بقطع من خشب الليخ بدلاً من كلاليب الحديد. وذلك دليل على قلَّة هذا المعدن. وكانوا اذا اتَّخذوا الحديد لهذه الغاية يُسرع الناس الى سرقتها لندرة هذا المعدن عندهم

وكان المصريُّون الاقدمون يقسمون المعادن الى قسمين المعادن الثمينة اي الجواهر كالذهب والفضَّة ثم المعادن المبتذلة كالنحاس والرصاص والحديد ثم اضافوا اليها بعد ذلك

التصدير. فخصّصوا الحديد بالاساحة وادوات العمل كالناحت والقوّس والسكاكين والمناشير. واتّخذوا الرصاص لتزاليج ابواب المياكل ولتركيب بعض التماثيل. امّا النحاس فلم يستعملوهُ صرفًا لرخاوتهِ. فمزجوهُ بالتصدير على نِسَب مختلفة ومنهُ الفلزّ الذي بالقوا في استعمالهِ وربّما مزجوا النحاس بالفضة او الذهب فاصطنعوا بمركّبهما اعمالًا صناعيّة دقيقة. وقد اتّخذ صاغة المصريين هذا التركيب نفسهُ ليطلوا بهِ التماثيل من الحجر او الشبه او الخشب ويصطنعوا التمائم والحليّ التي زانوا بها الاجسام المحنطة وهي تذهل العقول بدقّة صنعها. وكانوا ايضًا يمزجون الذهب بالفضة ويدعون المزيج سيماً (âsimou) واذا بلغت نسبة الفضّة عشرين في المئة سمّي إلكترووم (electrum) وهذا المعدن اصفر فاقع رائق الصفرة

هذا ونكرّر قولنا السابق ان المعادن كانت قليلةً في مصر وكان اكثرها يُستجلب من الخارج فانّ الفضة كانت تأتيها من آسية على هيئة حلقات او سبائك ذات ثقل معلوم. وكان الذهب ومركباتهُ يُقدم بهِ التينيقيون من الشام او يشرى من السودان. ومن غريب الامور انّ اغلب آثار الفضة والذهب في مصر ترتقي الى الدولتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة اللتين بسطتا ولايتهما على الاقطار الاسيويّة

ومن البلاد التي اغنت مصر بذهبها بلاد النوبة. وكانت هناك معادن تُرى الى عهدنا وآثارها واسرابُها وذلك في وادي علاّكي غربيّ جبل إلبة. وقد استثمر هذه المعادن مارك عديدون كالفراعنة والبطالسة والقياصرة الى زمن الخلفاء في القرن الثاني عشر. وكان الاقدمون اقاموا مخافر في تلك البراري لحراسة العملة وحفروا لهم صهاريج يُستدلُّ عليها بعلامتين منقوشتين في الصخور وهما الدائرة ومن تحتها صليب. الّا انهُ لم يُكتشف هناك حتى الآن كتابة تُذكر الّا نصبٌ وُجد في قوبان بين اسوان وكورسكو وبعض خطوط رُسمت على هيكل وادِنسية على الطريق الذاهبة من النيل الى معادن الذهب في اكيتو وقطعة من البرديّ مكتوبة على عهد رعمسيس الثاني تُحفظ اليوم في متحف تورين

وقد عدّن ايضًا قدماء المصريين ثم اليونان والرومان بعض المعادن الذهبيّة في جبال البحر الاحمر وفي زبّارة قريبًا من قُصير في جبل الزمرُّد وكذلك في جبل إلبة بجوار برنيقة الّا انّ هذه المعادن كانت قليلة الذهب صعبة التعدين مختلطة بعناصر شتى

وكانت الفضة في مصر اقلّ من الذهب. وجلّ ما وجد من معادنها المناجم المنسوبة الى عمرو بن العاص على مسير يومين من قُصير اكتشف بقاياها فيغاري بك (Figari bey) وكانت تلك الفضة ممزوجة بالكبريت والزئبق المانع

ولم يكن المصريون اغنى بالرصاص والنحاس والحديد منهم بالذهب والفضة. فعدّنوا في جبل الكحل قريباً من القصير معدناً من الرصاص كان قليل العائدة. وفي جبل برّان جنوبيّ شرقي اسوان على بعد ثماني ساعات منها استخرجوا النحاس وكان هذا المعدن جيّداً الّا انهُ قليل العمق. وكانوا منذ ايّام الدولة الثانية يعدّنون معدناً من النحاس في شبه جزيرة سينا يظهر من بقاياهُ انهُ كان كثير الجدوى. امّا الحديد فاستخرجوا منهُ شيئاً زهيداً في جبل زيت على ساحل بحر القلزم وكذلك القصير فقد عدّنوهُ في محلّين آخرين نجهل موقعهما الّا انّ ذلك القصير كان مشوباً بالرصاص والكوارتز

اما طريقتهم في استخلاص هذه المعادن من اخلاطها فلم يبلغنا منها الّا النزر القليل. فبين صور بني حسن صورة تمثل تصفية الذهب وتذويبهُ. وفي الاقصر تُرى صورة صانع متربّع امام بوتقتهِ وبيدهِ ملقط ومنفاخ

وقد احسن المصريون استحضار بعض الالوان الجميلة كانوا يلوّنون بها الآنية من الخزف والزجاج يأخذ حسنُها بمجامع القلوب ويقضي اهل زماننا من منظرها العجب

ومن المعادن الثمينة التي رزق الله بها مصر معادن الزمرُّد فكان منهُ معدن في زبّارة على مسافة اربعة اميال منها عند بندر صُغَير. الّا ان حجارتها ليست من الجنس الفاخر. واشتهر من هذا المعدن معدن جزيرة الزمرُّد على ٣٠ ميلًا من الساحل بازاء برنيقة. وهي جزيرة بركانيّة وجد فيها القدماء الزبرجد (béryl) والزمرُّد فعدّنوهما مدّة قرون متواصلة في ايّام الفراعنة وفي عهد البطالسة كما يُستدل عليهِ من الآثار الباقية حتى يومنا وقد ذكر التيفاشي في كتابهِ جواهر المعادن قال:

« انّ معدنهُ في التخوم بين بلاد مصر والسودان في جبل خلف اسوان تُحفر فيهِ معادن فيخرج منهُ الزمرُّد قطعاً واوّل ما يخرج منهُ شيء يسمّونهُ الطلق (mica) وهي حجارة سود اذا حمي عليها النار خرجت سرفشينا دهني ثمّ يُحفر فيوجد تراب هش احمر يكون فيهِ الزمرُّد »

وكان الاقدمون يتّخذون الزمرُّد للحليّ ويجعلون فصوصهُ في الخواتم ويزينون بها جثث الموتى. واتّخذهُ العرب لترصيع اسلحتهم وتحلية مصاغاتهم

وقد وجد الاثريون في مدافن المصريين كمّيّة وافرة من الحجارة الكريمة كالياقوت

والمرجان والقصب وغير ذلك من جواهر المعادن التي كان المصريون يجلبونها من جزيرة العرب

اما اليوم فقد عدل المصريون عن تعدين المعادن ووجهوا همتهم الى الزراعة ونعم ما يفعلون وفي الزراعة من الكنوز ما يغنيهم عن المعادن والحجارة الكريمة

مطبوعات شرقية جديدة

Vases antiques du Louvre
par E. Pottier; 2 *séries*, 1897-1901, Hachette, Parie

الآنية القديمة في متحف اللوفر

انَّ في متحف اللوفر مجموعاً نادراً من الآنية القديمة التي اصطنعها اليونان فاكتُشفت في قلب الارض بعد ان اكل الدهر عليها وشرب. فهذه الآثار البديعة صرفت عليها الدولة الفرنسوية مبالغ عظيمة فحصلت عليها وزانت بها متحف عاديَّاتها حيث تراها معروضة لاعين الزوَّار. الَّا انَّ في وصف هذه الآنية وتعريف خواصها من الفوائد ما يزيد في شأنها وذلك ما باشرهُ الاثريُّ الشهير ا. پوتيار من علماء فرنسة المعدودين منذ سنة ١٨٩٧ وقد ظهر من عمله اقسامٌ اطَّلعنا عليها فوجدنا اهلًا بسمعة مؤلفها ولا بدع فان علماء العاديَّات في نواحي اوربَّة اجمعوا على انَّ هذا الكتاب من اكمل ما وضعهُ الاثريُّون في هذه المادَّة فلا يستغني عن مراجعتهِ كلُّ من اراد الخوض في فنّ الخزفيَّات القديمة. وقد اجتهد هاشت الطبَّاع الشهير في اتقان صور الكتاب كيْ تمثل كل خواصّ الآنية الموصوفة من حيث الدقَّة والالوان فلا يجد رائيها فرقًا بينها وبين الاصل الذي تمثلهُ

ت. جوليان

أسئلة واجوبة

س سأل حضرة الشماس بولكريس قطَّان من روبية عن بعض ابيات وردت في مجاني الادب (الجزء الخامس ص ٢١١) اشكل عليهِ معناها

رواية بعض ابيات وردت في مجاني الادب

ج هذه الابيات نقلناها مصحَّفة عن الطبعة المصريَّة من زهر الآداب للحصريّ ثمَّ وجدناها في كتاب مخطوط قابلناها في الطبعات الاخيرة ودونك الرواية الصحيحة (والابيات في وصف فرس):

لهُ زَهْوُ طاووسٍ وخَطْرُ حمامةٍ وتدويمُ بازٍ وانقضاض عُقابِ